الإعجاز في حفظ القرآن الكريم

د. عثمان بن مسفر الزهراني
أستاذ العقيدة ـ عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

مقدمـــة:

الحمد لله الذي أرسل إلينا خير رسله، وأنزل إلينا خير كتبه، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.

أما بعد...

فهذا بحث موجز لبيان دلالة إعجاز القرآن الكريم من حيث بقائه محفوظاً سالماً من أن يحرف أو يزاد فيه شيء أو ينقص منه شيء.

لقد أعلن الله جل وعلا في غير ما آية أن هذا القرآن سيبقى محفوظاً، وكانت تلك الآيات ولا زالت تتلى وتكتب من عهد النبي صلى الله عليه وسلك وإلى الآن، وستبقى إلى قيام الساعة، ولم يستطع أحد ولن يستطيع أن يغير في القرآن شيئاً، ولم يتحقق لأحد أن يثبت أن في القرآن تحريفاً أو زيادة أو نقصاً، لتوفر الدلائل القاطعة على سلامة هذا القرآن من ذلك، وأنه بقي وسيبقى مصوناً محفوظاً متواتراً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فسبحان من يسره للذكر، وسبحان من تكفل بحفظه، وهيأ الأسباب لحفظه من أي تحريف أو زيادة أو نقص.

وسيكون حديثي هنا في عدة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: أدلة حفظ المولى جل وعلا للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: حفظ القرآن وجمعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليه:

أولا: حفظه بجمعه في الصدور

ثانيا: حفظه بجمعه في الصحف والسطور

المطلب الثالث: في ذكر العوامل المساعدة على حفظ القرآن الكريم

المطلب الرابع: الحفظ والخلود خاصية للقرآن الكريم دون غيره من الكتب السابقة.

المطلب الخامس: إجماع أهل السنة على سلامة القرآن الكريم من التحريف أو الزيادة أو النقص.

المطلب السادس: موقف الشيعة من القرآن.

المطلب السابع: حفظ القرآن والإعجاز.

- الخاتمة.
- المراجع.

المطلب الأول

الأدلة على حفظ الله جل وعلا للقرآن الكريم

ورد عدد من الأدلة الصريحة على حفــظ الله تعــالى للقــرآن الكــريم مــن أن ينسى منه شيء أو يزداد فيه أو ينق، ومن ذلك ما يلي:

الآية الأولى: قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا ٱلذِّكرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]

قال ابن جرير– رحمه الله–: " (إنا نحن نزلنا الذكر) وهو القرآن (وإنا له لحافظون) قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينق منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضة.

والهاء في قوله (له) من ذكر الذكر، وبنحو الذي قلنــا في ذلــك قــال: أهــل التأويل.[2].

وأورد بعضاً من الآثار في ذلك عن مجاهــد وقتــاده، ثم قــال: وقيــل: الهــاء في قوله تعالى (وإنا له لحافظون) من ذكر محمد صلى الله عليــه وســلم، بمعــنى: وأنــا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه" [3].

والمعنى الأول هو الصحيح، فقد ذكر الطبري القول الثاني بصيغة التضعيف، ثم إن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، كما أن المعنى الأول دل عليه السياق، حيث جاء في الآيات التي قبل هذه الآية: { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ}.[4]

فالذكر المقصود هو الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن الكريم.

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: " المعنى الأول أَوْلى، وهو ظاهر السياق ".[5]

وقال الماوردي: قوله عز وجــل: (إنــا نحــن نزلنــا الــذكر) قــال الحــسن والضحاك: يعني القرآن، (وإنا لحافظون) فيه قولان: أحــدهما: وإنــا لمحمــد حــافظون ممن أراده بسوء من أعدائه، حكاه ابن جريــر. الثــاني: وإنــا للقــرآن لحــافظون. وفي

هذا الحفظ ثلاثة أوجه: أحدها: حفظه حتى يجزي بــه يــوم القيامــة، قالــه الحــسن. **الثاني**: حفظه من أن يزيد فيه الشيطان بــاطلاً، أو يزيــل منــه حقــاً، قالــه قتــادة. **الثالث**: إنا له لحافظون في قلوب من أردنا به خيراً وذاهبــون بــه مــن قلــوب مــن أردنا به شرا"[٦].

وقال البغوي – رحمه الله-: (إنا نحن نزلنا الــذكر) يعــني القــرآن (وإنــا لــه لحافظون) أي نحفظ القرآن مــن الــشياطين أن يزيــدوا فيــه، أو ينقــصوا منــه، أو يبدلو"[٧]

وبنحو ذلك قاله ابن عطية في تفسيره [8]،ابــن الجــوزي [٩]، والقــرطبي [١٠]، والقاسمي [١١]، وغيرهم، وأوردوا العديد من الآثار المرويــة في ذلــك بنحــو ماســبق، عن مجاهد وقتادة وثابت وغيرهم من السلف رحمهم الله.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيز٤١ لَّا يَأتِيهِ ٱلبَٰطِلُ مِنۢ بَينِ يَدَيهِ وَلَا مِن خَلفِهِۦۖ تَنزِيل مِّن حَكِيمٍ حَمِيد﴾ [١٢]

قال ابن جرير- رحمه الله-: " يقول تعالى ذكــره: إن الــذين جحــدوا هــذا القرآن وكذبوا به لما جاءهم، وعني بالذكر: القرآن... وقولــه (وإنــه لكتــاب عزيــز) يقول تعالى ذكره: وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إيــاه، وحفظــه مــن كــل من أراد له تبديلا، أو تحريفاً، أو تغييرا، من إنــسي وجــني وشــيطان مــارد، وبنحــو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل..."

وذكر بسنده عن قتاده أنه قــال: "أعــزه الله لأنــه كلامــه، وحفظــه مــن الباطل" وعن السدي بسنده أيضاً أنه قال: "عزيز من الشيطان"[١٣]

ثم قال في تفسير قوله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بــين يديــه لا مــن خلفــه): اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: لا يأتيه التكــبر مــن بــين يديــه ولا من خلفه... وقال آخرون: معنى: ذلــك: لا يــستطيع الــشيطان أن يــنقص منــه حقاً، ولا يزيد فيه باطلاً، قالوا: والباطل هو الشيطان، وقوله: (مــن بــين يديــه) مــن قبل الحق (ولا من خلفه) من قبل الباطــل... وقــال آخــرون: معنــاه إن الباطــل لا

يطيق أن يزيد فيه شيئاً من الحروف ولا يــنقص منــه شــيئاً منــها... وأولى الأقــوال عندنا بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيــده تغــييره بكيــده، وتبــديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق مــا لــيس منــه فيه، وذلك إتيانه من خلفه"(١٤).

وقال ابن عطية- رحمه الله: " وقوله: (لا يأتيه الباطل)قــال قتــادة والــسدي: يريد الشيطان، وظاهر اللفظ يعم الشيطان وأن يجيء أمــر يبطــل منــه شــيئاً، وقولــه (من بين يديه) معناه ليس فيما تقدمه من الكتب ما يبطل شيئاً منــه، وقولــه (ولا مــن خلفه) أي ليس يأتي بعده من نظر ناظر، وفكرة عاقل، ما يبطــل أشــياء منــه، والمــراد باللفظ على الجملة: لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات"(١٥).

وقال ابن الجوزي- رحمه الله-: " قوله تعــالى (وإنــه لكتــاب عزيــز) فيــه أربعة أقوال، أحدها: منيع من الشيطان لا يجد إليــه ســبيلاً، قالــه الــسدي، والثــاني: كريم على الله، قاله ابن السائب، والثالث: منيع من الباطــل، قالــه مقاتــل. والرابــع: يمتنع على الناس أن يقولو مثله، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: (لا يأتيه الباطل) فيه ثلاثــة أقــوال، أحــدهما: التكــذيب، قالــه سعيد بن جبير، والثاني: الشيطان، والثالث: التبديل، رويا عــن مجاهــد، قــال قتــادة: لا يستطيع إبليس أن ينقص منه حقا، ولا يزيد فيه بــاطلاً، وقــال مجاهــد: لا يــدخل فيه ما ليس منه، وفي قوله: (من بين يديه ولا من خلفه) ثلاثــة أقــوال، أحــدها: بــين يدي تنزيله، وبعد نزوله. والثاني: أنه ليس قبله كتاب يبطلــه، ولا يــأتي بعــده كتــاب يبطله، والثالث: لا يأتي الباطل في إخباره عما تقدم، ولا في إخباره عما تأخر(١٦).

وقال بنحو قولهم البغوي(١٧)، و القرطبي ونقل آثارا تــدل علــى ذلــك عــن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج والسدي والكلبي وغيرهم (١٨).

وقال ابن كثير: " { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ } أي: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: { تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } أي: حكيم

في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه، الجميع محمودة عواقبه وغاياته ".[١٩]

الآية الثالثة: قوله تعالى: { وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا}.[٢٠]

قال ابن كثير: " يقول تعالى آمرًا رسوله عليه الصلاة والسلام بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس: { لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ } أي: لا مغير لها، ولا محرِّف، ولا مزيل ".[٢١]

قال السعدي: " أي: اتبع ما أوحى الله إليك بمعرفة معانيه وفهمها، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره ونواهيه، فإنه الكتاب الجليل، الذي لا مبدل لكلماته، أي: لا تغير ولا تبدل لصدقها وعدلها، وبلوغها من الحسن فوق كل غاية، { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } فلتمامها استحال عليها التغيير والتبديل، فلو كانت ناقصة لعرض لها ذلك أو شيء منه، وفي هذا تعظيم للقرآن، وفي ضمنه الترغيب على الإقبال عليه ".[٢٢]

الآية الرابعة: قوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ. بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ).[٢٣]

قال الطبري: " وقال آخرون: عنى بذلك القرآن، وقالوا: معنى الكلام: بل هذا القرآن آيات بيِّنات في صدور الذين أوتوا العلم، من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:...".[٢٤]

قال القرطبي: " قوله تعالى: { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ } يعني القرآن...قال الحسن: أعطيت هذه الأمة الحفظ، وكان من قبلها لا يقرءون كتابهم إلا نظرا، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه، إلا النبيون، فقال كعب في صفة هذه الأمة: إنهم حكماء علماء وهم في الفقه أنبياء. (في صدور الذين أوتوا العلم) أي ليس هذا القرآن كما يقوله المبطلون من أنه سحر أو شعر، ولكنه علامات ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه، وهي كذلك في صدور الذين أوتوا العلم وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به يحفظونه ويقرؤونه. ووصفهم بالعلم لأنهم ميزوا بأفهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين ".[٢٥]

الآية الخامسة: قوله سبحانه وتعالى: { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ }.(٢٦)

وهذا الوعيد الشديد لكل من تسول له نفسه أن يتقول على الله جل في علاه، ويلزم من ذلك أن كتابه مصون عن التحريف والتبديل والزيادة والنقصان. فلا يستطيع أحد أن يبدل كلام الله تعالى، ولا أن يزيد فيه أو ينقص.

روى البيهقي عن نافع قال: خطب الحجاج، فقال: إن ابن الزبير يبدل كلام الله تعالى.

قال: فقال ابن عمر رضي الله عنهما: كذب الحجاج؛ إن ابن الزبير لا يبدل كلام الله تعالى ولا يستطيع ذلك "(٢٧).

الآية السادسة: قوله تعالى:﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ﴾ (٢٨)

قال الطبري- رحمه الله-: واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به، فقال بعضهم قيل له ذلك لأنه كان إذا نزل عليه منه شيء عجل به يريد حفظه من حبه إياه، فقيل له لا تعجل به فإنا سنحفظه عليك..، وقال آخرون: بل السبب الذي من أجله قيل له ذلك أنه كان يكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه، فقيل له لا تحرك لسانك لتعجل به إنه علينا أن نجمعه لم ونقرئكه فلا تنسى... وأشبه القولين بما دل عليه ظاهر التزيل، القول الذي ذكر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وذلك أن قوله: (إن علينا جمعه وقرءانه) ينبئ انه إنما نهي عن تحريك اللسان به، متعجلاً فيه قبل جمعه، ومعلوم أن دراسته للتذكير إنما كانت تكون من النبي صلى الله عليه وسلك من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك، وقوله (إن علينا جمعه وقرآنه) يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبته فيه"(٢٩).

وقال ابن كثير- رحمه الله-: (إن علينا جمعه) أي: في صدرك"(٣٠)

ومما ورد في الدلالة على حفظ القران في السنة النبوية الشريفة ما يلي:

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: " أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا... إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ...".[٣١]

قال أبو العباس القرطبي: " فلو غسلت المصاحف لما انغسل من الصدور، ولما ذهب من الوجود، ويشهد لذلك قوله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }."[٣٢]

قال الإمام النووي: " لا يغسله الماء معناه: محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الأزمان ".[٣٣]

عن جابر بن عبد الله قال: رأيتُ رَسولَ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في حجَّته يومَ عرفةَ وَهوَ علَى ناقته القَصواءِ يخطُبُ، فسَمعْتُهُ يقولُ: " يا أيُّها النَّاسُ إنِّي ترَكْتُ فيكُم مَن ما إن أخَذتُمْ بِهِ لن تَضلُّوا: كتابَ اللَّه، وعِترتي أَهْلَ بَيتي".[٣٤]

فحث النبي صلى الله عليه وسلم أمته للرجوع والتمسك بكتاب الله من بعده، دليل على أنه لا يناله التحريف والتبديل، ولو كان التحريف جائزا على القرآن لما كان في الحث على التمسك به معنى، ولما كان للأمر بالرجوع إليه فائدة.

كون القرآن حجّة بالغة ينافي التحريف من كلِّ وجه، ولا يعقل اتخاذ ما هو محرّف حجة، ولو فرض حصول التحريف لسقط الاستدلال به؛ لاحتمال التحريف بالدليل، ولا يوجد أحد قط استدل بالقرآن فأشكل عليه آخر بتحريف الدليل.

وقد تحدى الله المشركين أن يأتوا بمثل القرآن وتحداهم بآية فأكثر، فما استطاعوا، فلو قُدِّرَ أن القرآن زيد فيه ما ليس منه، أو حُرِّفَ فيه لانتفت صفة الإعجاز، لأن محاكاة كلام البشر غير ممتنعة، فلما لم تحصل دلّ ذلك على حفظ الله لكتابه، وصونه له عن التحريف، والزيادة.[٣٥]

فهذه بعض الأدلة من الكتاب والسنة والمعقول على حفظ القرآن، وسلامته من التحريف والتبديل، وهو أمر لا يحتاج إلى كثير استدلال، فالتاريخ يشهد بذلك، ويعترف

بهذا علماء وأساتذة غير مسلمين صرّحوا بعدم وقوع التحريف في القرآن الكريم، وليس القران الكريم في حاجة لاعترافهم، لكنها الحقيقة التي تجبر كل منصف على الاعتراف بها، وهي حجة على قومهم وبني جلدتهم.

يقول الأستاذ لوبلو يقول: " إنّ القرآن هو اليوم الكتاب الربّاني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير يذكر ".(٣٦)

ويقول السير وليام موير: " إنّ المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يدٍ ليدٍ حتّى وصل إلينا بدون تحريفٍ، وقد حُفظ بعنايةٍ شديدةٍ بحيث لم يطرأ عليه أي تغييرٍ يُذكَر، بل نستطيع القول أنّه لم يطرأ عليه أيّ تغييرٍ على الاطلاق في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة "(٣٧).

المطلب الثاني

حفظ القرآن وجمعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم

أولا: حفظه بجمعه في الصدور:

لقد تكفل الله جل وعلا بجمع القرآن في صدر النبي صلى الله عليه وسلم ليحفظه قال تعالى:﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُۥ وَقُرءَانَهُۥ ١٧﴾ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم من شدة حرصه على حفظ القرآن ولئلا ينسى من شيئاً كان يحرك شفتيه عند تلقي الوحي، فأنزل الله عليه الآيات السابقة، فطمأنه ووعده أن يحفظه له في صدره، وأن يقرئه لفظه ويفهمه معناه.

وكان من دواعي حفظ النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن وتثبيته في قلبه معارضة جبريل عليه السلام له بالقرآن في رمضان من كل عام، حتى كان العام الذي توفي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فعارضه مرتين، وفهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قرب انتهاء أجله(٣٨)، وكان القرآن شغل النبي صلى الله عليه وسلم الشاغل في كل أحواله، لا يغيب عن قلبه، ولا يألوا جهداً في الائتمار بأوامره ونواهيه، والتخلق به وبآدابه.

وكذلك الــصحابة رضــوان الله علــيهم كــان اهتمــام شــديداً بــالقرآن يتدارسونه ويحفظونه ويقيمون حروفه وحدوده، وكــان اعتمــادهم في الحفــظ علــى التلقي والسماع من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومــا كــانوا يعتمــدون في حفظــه على النقل من الصحف والسطور.

ولذلك لا عجل أن نجد أنه حفظ القرآن من الــصحابة الجــم الغفــير، حــتى لقد ورد أنه قتل في يوم يدر معونه سبعون من القراء.

وأما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وســلم فقــد أتم حفــظ القــرآن الألــوف المؤلفة من الصحابة، كيف وقد قتل من القراء في موقعه اليمامة قيــل ســبعمائة وقيــل أكثر(٣٩).

وحفظه عن الصحابة الألوف المؤلفة من التــابعين، وهكــذا دواليــك تلقتــه طبقة عن طبقة بالحفظ والعناية، حتى وصل إلينا القرآن الكــريم مــن غــير زيــادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا تبديل.

ثانيا: حفظ القرآن بجمعه في الصحف والسطور:

لم يكتف النبي صلى الله عليــه وســلم بحفــظ القــرآن في صــدره، وإقرائــه لأصحابه وحفظهم له، بل جمع إلى ذلك كتابته وتقييــده في الــسطور، وكــان للــنبي صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون الوحي، منهم:

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبان بــن ســعيد، وخالــد بــن الوليــد، ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعــب، وغيرهــم، فكــان إذا نــزل على النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الوحي دعــى بعــض مــن يكتــب فيــأمره بكتابة ما نزل من الوحي، ثم يرشده إلى موضعه وكيفية كتابته.

وقد كان القرآن كله مكتوباً في عهد الــنبي صــلى الله عليــه وســلم لكنــه مفرق الآيات والسور، ولم يجمعه النبي صلى الله عليه وســلم في مكــان واحــد، وقــد ذكر العلماء أسباباً لهذا منها:

١. ما كان يترقبه النبي صلى الله عليه وسلم من تتابع نزول الـوحي، ونـزول بعـض أيات ناسخه لبعض أحكامه وألفاظه.
٢. ترتيب آيات القرآن وسوره لم يكن على حسب النزول بـل كـان علـى حـسب تناسب الآية وترابطها، وقد تنزل الآية أو السورة بعـد الآيـة وتكـون في ترتيـب الكتابة قبلها، فلو كتبه النبي صلى الله عليه وسلم كلـه في مكـان واحـد، لكـان عرضه للتغيير والإزالة والكشط والمحو...

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأثناء حروب الـرده في عهـد الـصديق رضي الله عنه، قتل في موقه اليمامة سنة اثنتي عشر للهجرة خلـق كـثير مـن حفـاظ القرآن فأمر أبو بكر رضي الله عنه زيد بن ثابت بجمـع القـرآن بعـد مـشورة عمـر رضي الله عنه[٤٠] حتى لا يذهب شيء من القرآن بـذهاب القـراء، والقـصة ذكرهـا البخاري في صحيحة.

وكان لا يكتب القرآن إلا من عين ما كتـب بـين يـدي رسـول الله صـلى الله عليه وسلم، لا من مجرد الحفظ، وهذا مبالغـة في التوثيـق في كتابـة القـرآن فلـم يقبلوه إلا من المصدرين معاً، وهما: الحفظ والكتابة[٤١] وعلى ذلك يحمـل قـول زيـد بن ثابت فيما ورد عنه أن قال: فقدت آية من الأحـزاب حـين نـسخنا المـصحف، وقد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها، فالتمـسناها فوجـدناها مـع خزيمة بن ثابت الأنصاري: (من المؤمنين رجال صدقوا مـا عاهـدوا الله عليـه...)[٤٢] فألحقناها في سورتها في المصحف[٤٣].

والمراد لم أجدها مكتوبتين عند غيره ممـن كـانوا يكتبـون الـوحي ولـيس المراد أنه لم يكن يحفظها غيره، بل كان يحفظها الكثيرون ويتلوهـا في الـصلاة ومنـهم زيد بن ثابت نفسه[٤٤]. وقـد ثبـت في الروايـات أن عمـر وعثمـان وأُبيّ كـانوا يحفظونها أيضاً[٤٥]

ثم قيض الله لكتابه عثمان رضي الله عنه فجمع المـصحف وعهـد رضـي الله عنه إلى زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وعبد الـرحمن بـن الحـارق، أن ينـسخوا

الصحف في مصاحف، فقاموا بمهمتهم خير قيام، وكتبوا المصاحف مرتبة السور على الوجه المعروف اليوم، فلما انتهوا أرسل عثمان إلى كل مصر من المصار المشهورة بمصحف يجتمع الناس في القراءة عليه، وأمر بما سواها من المصاحف أن يحرق[٤٦]، وكان هذا من توفيق الله لعثمان والصحابة رضوان الله عليهم للقيام بهذا العمل الجليل.

المطلب الثالث

العوامل المساعدة على حفظ القرآن

إن الله جل وعلا إذا أراد شيئاً هيأ له أسبابه، وقد كانت هناك عوامل ساعدت على حفظ القرآن، ومن أهمها ما يلي:

١. التعبد بتلاوة القرآن الكريم في الصلاة وخارجها، والأدلة في هذا معلومة وكثيرة من الكتاب والسنة، ليس هنا مجال جمعها.
٢. الترغيب في قراءة القرآن وحفظه
٣. الأمر بتعهد القرآن والتحذير من نسيانه، والتنبيه إلى شدة تقلته، للاهتمام بمراجعته وحفزه.
٤. الاحترام والمكانه والتمييز التي يحظى بها حافظ القرآن في حياته وبعد مماته، فيقدم للإمامة في الصلاة إلا حفظ لكتاب الله، بل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤمر على بعض السرايا من هو أحفظ لكتاب الله، وكان يقدم صلى الله عليه وسلم من هو أكثر حفظاً للقرآن في اللحد من شهداء أحد.
٥. ارتباط بعض الوظائف الدينية والدنيوية بحفظ القرآن
٦. تفرغ بعض الصحابة ومن بعدهم لحفظ القرآن وضبطه، كأهل الصفة في عهد رسول الله صلى الله علسه وسلم والذين منهم القراء الذين قتلوا في بئر معونة، وكذلك التابعين ومن بعدهم، حيث وجد في كثير من مدن الاسلام قراء متخصصون في تعليم القرآن.
٧. العامل السادس: اشتهار العرب بقوة الحافظة.

المطلب الرابع

الحفظ والخلود خاصية للقرآن دون غيره من الكتب السابقة

بقي القرآن الكريم محفوظاً لأن الله تعالى تكفل بــذلك، فقــال جــل ذكــره: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(٤٧)

أما الكتب الماضية فلم يتكفل الله بحفظها بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى: (والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله)(٤٨) أي بما طلب إليهم حفظه.

لكنهم أضاعوه وأهملوه، و لم يقيموا حدوده، ونقضوا ميقاقهم مع ربهم كما أخبر تعالى بقوله: ﴿ ۞وَلَقَد أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسرَٰٓءِيلَ وَبَعَثنَا مِنهُمُ ٱثنَي عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِن أَقَمتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرتُمُوهُم وَأَقرَضتُمُ ٱللَّهَ قَرضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُم سَيِّـَٔاتِكُم وَلَأُدخِلَنَّكُم جَنَّٰتٖ تَجرِي مِن تَحتِهَا ٱلأَنهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعدَ ذَٰلِكَ مِنكُم فَقَد ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(٤٩)

وقد أشار الدكتور محمد دراز إلى السر في هــذه التفرقــة فقــال: والــسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها علــى التوقيــت لا التأبيــد، وأن هــذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنــاً عليهــا، فكــان جامعــاً لمــا فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شــاء الله زيادتــه، وكــان ســاداً مــسدها و لم يكن شيء منها ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيــام الــساعة، وإذا قــضى الله أمراً يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم(٥٠)

المطلب الخامس

إجماع أهل السنة على سلامة القرآن من الزيادة أو النقصان أو التحريف

أجمع أهل السنة على سلامة القــرآن الكــريم مــن التحريــف أو التغــيير أو التبديل أو الزيادة أو النقص، ومن اعتقد أن القرآن الكريم غــير محفــوظ فقــد خــرج عن ربقة الإسلام.

وهناك نصوص كثيرة لعلماء أهل الــسنة في ذلــك، منــها: قولــه القاضــي عياض- رحمه الله-: قد أجمع المــسلمون أن القــرآن المتلــو في جميــع أقطــار الأرض

المكتوب في الصحف بأيدي المسلمين ممـا جمعـه الـدفتان مـن أول (الحمـد لله رب العالمين) إلى آخر (قل أعوذ برب الناس) أنه كلام الله ووحيه المـنزل علـى نبيـه محمـد صلى الله عليه وسلم، وأن جميع ما فيه حـق، وأن مـن نقـص منـه حرفـاً قاصـداً لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً ممـا لم يـشتمل عليـه المـصحف الذي وقع الاجماع عليه، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل لهـذا أنـه كـافر، ولهذا رأى مالك قتل من سب عائـشة- رضـي الله عنـها- بالفريـه لأنـه خـالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل، أي: لأنه كذب بما فيه، وقال ابن القاسـم مـن قـال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليماً: يقتل، وقاله عبـد الـرحمن بـن المهـدي، وقـال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليـستا مـن كتـاب الله: يـضرب عنقـه إلا أن يتوب، وكذلك كل من كذب بحرف منه.. وقال أبـو عثمـان الحـداد، وكـان أبـو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل له: ليس كما قرأت، ويقول: أمـا أنـا فـأقرأ كـذا، فبلغ ذلك ابراهيم فقال: أراه سمع أن من كفر بحرف منه فقد كفـر بـه كلـه، وقـال عبد الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله..."[٥١]

وقال ابن قدامه: ""ولا خلاف بين المسلمين في أن مـن جحـد مـن القـرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه: أنه كافر"[٥٢]

وقال البغدادي: "وأكفروا- أي أهل السنة- مـن زعـم مـن الرافـضة أن لا حجة اليوم في القرآن والسنة، لدعواه أن الـصحابة غـيروا بعـض القـرآن، وحرفـوا بعضه"[٥٣]

وقال ابن حزم: القول بأن بين اللـوحين تبـديلاً كفـر صـريح، وتكـذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم[٥٤].

المطلب السادس

موقف الشيعة من القرآن

فيما سبق من الأدلة القطعية من الكتاب والسنة والمعقول بيان واضح على أن هذا القرآن محفوظ بحفظ الله، وأن ذلك من معجزات هذا القرآن العظيم.

ولذلك فمن يقول من الشيعة او غيرهم بوجود تحريف او نقص في القران فلا وزن لكلامه ولا اعتبار.

وانما أتحدث عنهم هنا لبيان موقفهم من القران الكريم المخالف لأهل السنة ولكافة الفرق الإسلامية. ولبيان أن من قال منهم بهذا القول الشنيع لم يضر القرآن الكريم شيئا، بل ارتد الأمر عليهم فكان عارا عليهم ووبالا، ولذلك اجتهد بعض أئمتهم من المتقدمين والمتأخرين في نفي هذا القول عن عموم الشيعة، وأنه قول غير معتمد أو شاذ.

مع مافي القول بتحريف القران من خطورة وأنه مخرج من الإسلام بالكلية لمن اعتقده، واي فرقة تقول به وتعتقده فانه لا يصح أن تنسب الى الإسلام والمسلمين أصلا.

ومسألة قول بعض الشيعة بتحريف القران من المسائل التي تحتاج الى تحقيق وتدقيق، وذلك لوجود اتجاهان متعارضان في هذه الفرية عند الشيعة، كل منهم يحاول أن يثبت أنه هو من يمثل رأي الشيعة، وسأحاول تلخيص الكلام عن هذه المسألة مع الإحالة للمصادر لمن أراد الاستزادة، لأن تفصيل الكلام فيها يحتاج الى بحث كامل او بحوث، وليس هذا مرادنا.

الرأي الأول عند الشيعة هم من ينكرون تلك الفرية ويدعون الاجماع على انكارها ويوردون الأدلة القوية على صحة كلامهم، وأبرز من يمثل هذا الرأي من علماء الشيعة وهم من كبار محققيهم، كلا من [٥٥]: الشريف المترضى، وابن بابويه القمي والطوسي والطبرسي، ومن اتبعهم من المتأخرين.

وقد ذكر الطبرسي بأنه لا يوجد من القرن الرابع إلى القرن السادس خامس لهؤلاء الأربعة[٥٦]، ونقل الشيخ احسان الهي ظهير هذا القول وتحدى الشيعة أن يأتوا بخامس[٥٧]، ويرى الدكتور القفاري بأنه قد يكون هناك غيرهم لا نعرفهم،كما أن أوائل الشيعة لم يكن معروفا عنهم هذا القول الشنيع وأنه دخيل عليهم.

والرأي الثاني هم من يقول بوجود النقص والتحريف في القران، ويعتبرون إنكار من أنكر ذلك أنه من قبيل التقية[٥٨] التي يؤمن بها الشيعة ويدعي إجماع الشيعة على ذلك الكفر.

وأبرز من يمثل هذا الرأي هو الطبرسي الذي ألف كتابه " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب " – عليه من الله مايستحق – وحشد فيه الروايات الكثيرة عن أئمتهم ليظهر أن هذا هو قول عموم الشيعة، وأن من أنكر من علمائهم هذا القول فإنما أنكره تقية.

وهذان الرأيان منتشران في كتب الشيعة، وسأورد فيما بعد نصوصا لبعض أئمتهم المعتبرين كمثال على أقوالهم من كتبهم.

وبناء على هذا التضارب عند الشيعة ؛ تضاربت أقوال المصنفين والعلماء من أهل السنة قديما وحديثا في أي هذين القولين يمثل رأي الشيعة، فمنهم من يؤيد أنه الرأي الأول ومنهم من يؤيد أنه الرأي الثاني.

ويزيد من صعوبة الفصل في هذه المسالة كثرة الروايات المتضاربة، وعقيدة التقية لدى الشيعة فلا تستطيع الجزم بماهو الحقيقة وماهو تقية من أقوالهم، وغموض مذهبهم، وضعف حصانته من دخول الروايات المكذوبة عليه.

وهناك من رجح أن كثيرا من تلك الروايات انما استشرت في كتب المذهب الشيعي ابان الحكم الصفوي [٥٩].

سبب القول بها عند الشيعة، ومتى ظهر ؟:

يلاحظ " أن هذه الفرية مرتبطة أشد الارتباط بمسألة الإمامة والأئمة عند الشيعة، وذلك حينما بدأ شيوخ الشيعة في الاستدلال عليها فلم يجدوا في كتاب الله ما يثبت مزاعمهم في ذلك فأدى بهم هذا إلى القول بهذه الفرية وغيرها.. إذا أدركنا ذلك فإنه لا يبعد أن يكون ما يقوله المطلي (ت ٣٧٧هـــ(في أن هشاماً بن الحكم[٦٠] هو الذي تولى كبر هذا الافتراء...(أي القول بالنقص والتحريف في القران) لا يبعد أن يكون هذا واقعاً لاسيماً أن هشاماً كان من أول من تكلم في الإمامة، حتى قال ابن النديم: "إن هشام بن الحكم ممن فتق الكلام في الإمامة، وله من الكتب كتاب الإمامة"[٦١]، وقال ابن المطهر الحلي: "وكان ممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب بالنظر[٦٢]".[٦٣]

ثم انتشرت وفشت بعد ذلك هذه المقولة عند الشيعة الاثني عشرية، وتضاربت أقوالهم.

فمن أمثلة الأقوال المؤيدة لهذه الفرية عندهم مايلي:

يقول البحراني"وعندي في وضوح صحة هذا القول (أي القول بتحريف القرآن وتغييره) بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وإنه من أكبر مقاصد غصب الخلافة فتدبر (٢)[٦٤]

ويقول نعمة الله الجزائري" أن الأخبار الدالة على ذلك (أي على التحريف في الكتاب الحكيم) تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد، والمحقق الدماد، والعلامة المجلسي وغيرهم" (٣).[٦٥]

بل جعل أبو الحسن العاملي – وهو أحد كبار أئمتهم – القول بتحريف القرآن ونقصه من ضروريات مذهب الشيعة، فقال: (وعندي في وضوح صحة هذا القول بعد تتبع الأخبار، وتفحص الآثار، بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع، وأنه من أكبر مقاصد غصب الخلافة) اهـــ كلام العاملي.[٦٦]

ومن أمثلة الأقوال المعارضة لهذه الفرية عندهم:

قول شيخهم الطوسي (ت٤٥٠هـــ): "وأما الكلام في زيادته ونقصانه مما لا يليق به أيضاً؛ لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، ورويت روايات كثيرة من جهة العامة والخاصة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، لكن طريقها الآحاد التي لا توجب علماً، فالأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنه يمكن تأويلها، ولو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين، فإن ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأئمة ولا يدفعه، وروايانا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه، فما وافقه عمل عليه، وما يخالفه يجتنب و لم يتلفت إليه... وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته فينبغي أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه"[٦٧].

ويقول الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـــ): "إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما[٦٨]. ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً ومنقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد".[٦٩]

يقول الدكتور القفاري: " هذان الصوتان المتعارضان كان لهما – في الغالب – وجود وصدى في كل الكتب الشيعية التي تعرضت لهذه القضية ".

ثم نقل أقدم الأقوال التي تمثل هذين الرأين المتعارضين فقال:

"يقول شيخ الشيعة في زمنه ابن بابويه القمي (ت٣٨١هـــ) صاحب من كتاب " لا يحضره الفقيه " وهو واحد من أهم كتبهم الأربعة المعتمدة في الحديث، يقول: "اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد وهو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك.. ومن نسب إلينا أنا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب"[٧٠].

هذا قول شيخهم الملقب عندهم بالصدوق، ويشايعه في قوله هذا آخرون من شيعته.

ويقول المفيد (ت٤١٣هـــ): "إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وسلم باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الطاعنين فيه من الحذف والنقصان"[٧١].

ويقول: "واتفقوا – أي الإمامية – على أن أئمة الضلال [٧٢]؛ خالفوا في كثير من تأليف القرآن وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم" [٧٣].

ويقول بما قاله مفيدهم – الذي يلقبونه بركن الإسلام وآية الله الملك العلام – طائفة من شيوخهم.

هذان قولان مختلفان ومتعارضان صدرا من شيخين من شيوخهم يجمعهما وحدة الزمان والمكان، ويتفقان في الهوية المذهبية، بل إن هذا المفيد هو تلميذ لابن بابويه القمي. فمن نصدق منهما؟ وأي القولين يعبر عن مذهب الشيعة؟ ونجد أن تلميذين من تلامذة المفيد ومن أكبر شيوخ الشيعة – وهما الطوسي، وابن المرتضى – يقولان بما قاله ابن بابويه وأن مذهب أهل التحقيق من الشيعة إنكار هذه الفرية – كما سيأتي –، وكل قول من هذين القولين يؤيده جناح من الشيعة، بل يدعي حيناً أن لا قول للشيعة سواه وغيره افتراء على الشيعة وكذب.. والتعرف على الحقيقة وسط هذا الركام من الأقوال المتعارضة والمتناقضة ليس بسهل المنال..

وإذا لاحظنا أن من أركان الدين عند هؤلاء «التقية» ولا دين لمن لا تقية له؛ أدركنا أن الحقيقة محجوبة بغيوم من الكذب والتزوير، وركام من التناقضات والتعارضات، وعقبات من التقية والكتمان.. ولهذا سنرى في مبحث التقية أن الحقيقة التي تعبر عن مذهب الأئمة قد تخفى على شيوخ الشيعة أنفسهم فلا يعلمون أي القولين تقية، فكان هذا من أسباب ضياع مذهب الأئمة واستمرار الغلو".(٧٤)

وختاما فكما ذكرت في سلفا بأن من يحاول الطعن في القرآن فإنما يطعن في نفسه، وهو فعلا ما حصل من الشيعة الامامية، حيث أنهم لما رأوا خطورة القول بتحريف القرآن، وما لحق مذهبهم بسببه من شناعة، اجتهد بعض علمائهم لنفي هذه الفرية التي تزري بمذهبهم وتكشف باطلهم، وتؤدي بمعتقدها إلى الكفر والعياذ بالله.

المطلب السابع

حفظ القرآن والإعجاز

إن من سنن الله تعالى المعلومة بالضرورة، الصراع الدائم بين الحق والباطل منذ فجر الخليقة وإلى أن تقوم الساعة، وقد أرسل جل وعلا نبينا محمد صلى الله علسه وسلم بشيراً ونذيراً وأيده بالمعجزات الكثيرة، وعلى رأسها هذا القرآن الكريم الذي نزل بلغة القوم وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، أو بسوره، أو حتى بأية، و لم يستطيعوا الى ذلك سبيلاً.

فكان في هذا غاية الإعجاز لمن تدبر وعقل.

لكن هناك إعجاز من نوع آخر، يتعلق بهذا القرآن الكريم أيضاً، وهو أن الله تعالى زيادة على تحدي المشتركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن، تعهد وتكفل بحفظ هذا القرآن الكريم من أن تمتد إليه يد بالتحريف أو الزيادة أو النقص.

وتحقق هذا الوعد وبقي القرآن محفوظاً و لم يستطع ولن يستطيع أحد أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفاً واحداً، فضلاً عن آية أو سورة، برغم كثرة الدواعي من قبل أعداء هذا الدين على ذلك.

فكم مرت بالأمة من أمواج الفتن، وأهوال الحروب والظروف، وفتن الشبهات والدسائس وكيد الأعداء، وكم مرت على أمة الإسلام من أحوال ضعف وتقهقر، وتسلط للأعداء عليهم، ومع كل ذلك بقى هذا الكتاب العزيز مصونا محفوظا دون أن يطاله شيء من التبديل أو التحريف، ودون ان يستطيع أحد أن يشكك ولو في حرف واحد منه.

إن ورود آية واحدة صريحة الدلالة على حفظ الله لهذا القرآن ؛ لكافية في أن يوقن المسلم بذلك، فكيف وقد وردت العديد من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي تدل نصا أوضمنا على ذلك.

وقد كانت هذه الآيات والأحاديث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدا من الله ومن رسوله، لكنها اليوم وبعد مرور هذه القرون الطويلة أصبحت حقيقة ماثلة للعيان، وإعجازا مستمرا.

إن عجز كفار العرب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا بمثل هذا القرآن هو أمر كاف في الإعجاز ؛ ولو لم يتكفل الله سبحانه بحفظ القرآن في العصور القادمة، لكن أن يتحداهم سبحانه، ويبقى هذا القرآن محفوظا، والتحدي قائم إلى قيام الساعة فهذا من أعظم الإعجاز.

وإننا لنرى اليوم مصداق مأخبرنا الله به في كتابه، وأخبرنا به نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، واقعا مشاهدا، نراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا من تلك الأعداد الهائلة من أمة الإسلام الذين يحفظون القرآن كاملا حرفا حرفا من أوله إلى آخره، صغارا وكبارا، مبصرين وأكفّاء، رجالا ونساء، مما لم يحظ بمثله كتاب من كتب الدنيا مهما عظم.

وإن المسلم ليقشعر بدنه ويزداد يقينه عندما يرى الأعجمي الذي لا يتكلم جملة واحدة من اللغة العربية، يراه وهو يقرأ القرآن الكريم من حفظه بكل إتقان وتجويد وخشوع، وهو لا يعرف المعاني مما يجعل الحفظ أكثر صعوبة، ووقوع الخطأ أكثر احتمالا، لكنه مع ذلك يحفظ القرآن أو أجزاء منه دون أن ينقص منه أو يزيد.

يالها من دلالة عظيمة، وشاهد حي على هذا الاعجاز يمتد عبر القرون والأزمان، وباختلاف الأماكن والأوطان والأجناس واللغات.

الخاتمـــــة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أما بعد، فيمكنني تلخـيص أهـم نتـائج هذا البحث فيما يلي:

أولاً- أن الله تعالى تكفل بحفظ هـذا القـرآن، ووردت عـدد مـن الآيـات الصريحة الدالة على ذلك، ومن السنة النبوية، والدلالات العقلية.

ثانياً- في إعلان الله تعالى بأنه سيحفظ القرآن، وتحقق الوعـد بـشكل قـاطع إعجاز وأي إعجاز في أنه من عند الله.

ثالثاً- أن الحفظ والخلود خاصية للقرآن دون غـيره مـن الكتـب الـسماوية السابقة والتي أوكل الله حفظها إلى أصحابها فلم يحفظوها.

رابعاً- اعتنى المسلمون بحفظ القرآن وجمعه عناية فائقـة منـذ عهـد صـحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالغوا في توثيقه وإثباتـه، بطـرق قطعيـة متـواترة، و لم يدعوا طريقاً لمن يطعن أو يشكك في شيء منه.

خامساً- أهل السنة مجمعون على حفظ القرآن وتكفـير مـن يعتقـد بزيـادة أونقص شيء منه.

سادساً- كل الفرق الإسلامية متفقـة علـى حفـظ القـران وسـلامته مـن التحريف، وشذت طائفة من الشيعة الامامية فقالوا بـأن في القـران نقـص وتحريـف، لكن قولهم هذا ارتد عليهم بالعار والوبال، فاجتهد جمع مـن علمـائهم بـالتبرؤ منـه وفي هذا دلالة إعجاز أيضا لمن تأمل. هذا وبالله التوفيق وصلى الله عليـه وسـلم علـى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

المصادر والمراجع:

- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد –،ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار النشر: بدون، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ،عدد الأجزاء: ٣.
- الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ)، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢.
- الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٩م.
- الشيعة والقرآن، ويشتمل على القسم الكبير من كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» لمحدّث شيعي حسين تقي النوري الطبرسي، إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، عدد الأجزاء: ٥ × ٣.
- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الــرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هــ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هــ.
- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كــثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هــ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بــن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإســلامية بــدار هجــر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هــ - ٢٠٠١ م.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمالدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هــ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتــب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هــ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هــ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرســالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هــ -٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بــن محمــد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هــ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هــ.
- قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة الــسوادي، جــدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هــ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢
- قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة، عبد العزيــز بــن فيــصل الراجحي، الناشر: مطابع الحميضي – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هــ.
- لمعة الاعتقاد، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجمــاعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هــــ)، وزارة

الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعــة: الثانية، ١٤٢٠هـــ – ٢٠٠٠م.

- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتــوفى: ١٣٣٢هـــ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـــ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـــ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيــع، الطبعــة: الرابعة، ١٤١٧ هـــ – ١٩٩٧ م.

الهوامـــش:

1 - الحجر: ٩
2 - تفسير ابن جرير (١٨/١٤)
3 - تفسير ابن جرير (١٤/ ١٩)
4 (الحجر: ٦-٨).
5 "تفسير القرآن العظيم" (٤٥٣/٤).
6 - تفسير الماوردي (١٤٩/٣)
7 - تفسير البغوي: (٤/ ٣٦٩-٣٧٠)
8 - تفسير ابن عطية (١٠/ ١١٢)
9 - زاد المسير (٢/ ٥٢٥)
10 - الجامع لإحكام القرآن (١٠/ ٥)
11 - محاسن التاويل للقاسمي (٣٣٠/٣)
12 - فصلت: ٤١ - ٤٢
13 - تفسير ابن جرير (٤٣٣/٢٠)
14 - تفسير ابن جرير (٢٠/ ٤٤٥)
15 - تفسير ابن عطية (٥/ ١٩)
16 - زاد المسير (٤/ ٤٥)
17 - تفسير البغوي(٤/ ٣٧٠)
18 - الجامع لإحكام القرآن (١٤/ ١٨)
19 - "تفسير القرآن العظيم" (١٦٧/٧).
20 (الكهف: ٢٧).
21 "تفسير القرآن العظيم" (١٣٧/٥).
22 "تيسر الكريم الرحمن" (٤٧٥).
23 (العنكبوت: ٤٨-٤٩).
24 "جامع البيان" (٤٢٧/١٨).
25 "الجامع لأحكام القرآن" (٣٥٤/١٣).
26 (الحاقة: ٤٤-٤٧).
27 في "الأسماء والصفات" (٥٩٥/١)
28 - القيامة: ١٦ - ١٧
29 - ابن جرير (٢٣/ ٤٩٦-٤٩٩)
30 - تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨١)
31 أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

32 "المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم" (١٦٣/٧).
33 "شرح صحيح مسلم" (١٩٨/١٧).
34 أخرجه الترمذي (٣٧٨٦).
35 فتوى رقم (٨١٨٧) على موقع إسلام ويب. على الشبكة العنكبوتية.
36 "تاريخ القرآن للصغير" (٩٣/٢) نقلا عن كتاب: المدخل إلى القرآن لمحمد عبد الله دراز (٤٠).
37 المصدر السابق. (٣٩).
38 – ورد ذلك في صحيح البخاري وغيره, انظر فتح الباري (٩/ ٥٤-٥٨)
39 – انظر, فتح الباري (١٦/٩)
40 – انظر فتح الباري (١٤/٩)
41 – انظر فتح الباري (٩/ ٢٠-٢١)
42 – الأحزاب: ٢٣
43 – أخرجه البخاري, انظر الفتح (١٥/٩)
44 – انظر فتح الباري (٢٠/٩)
45 – انظر فتح الباري (٢٠/٩-٢١)
46 – ذكر هذه القصة بنحوها البخاري في صحيحه, انظر فتح الباري (٩/ ١٥)
47 – الحجر: ٩
48 – المائدة: ٤٤
49 – المائدة: ١٢
50 – النبأ العظيم ٧-٩
51 – الشفا, للقاضي عياض(٣٠٦/٢)
52 – لمعة الاعتقاد لابن قدامه (٢١)
53 – الفرق بين الفرق البغدادي (٣١٥)
54 – الفصل, لابن حزم (١٣٩/٤)
55 انظر " أصول مذهب الشيعة...." ٢٧٨/١
56 فصل الخطاب: ١٥ (المخطوط) وص ٣٤، نقلا عن أصول مذهب الشيعة..." ٢٧٦/١
57 (الشيعة والسنة ص ١٢٤)
58 ومنهم شيخهم نعمة الله الجزائري، انظر " أصول مذهب الشيعة..." ٢٧٩/١
59 أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – (١/ ٢٣٣)
60 هشام بن الحكم: أصله كوفي، وسكن بغداد، وتربى في أحضان بعض الزنادقة، وكان في الأصل على مذهب الجهمية، ثم قال بالتجسيم.. نقلت عنه مقالات ضالة وتنسب له كتب الفرق فرقة "الهشامية" من الشيعة. توفي سنة (١٧٩هـ(كما في رجال الكشي، وقيل: (١٩٠هـ(انظر: رجال الكشي: ص ٢٥٥-٢٨٠، انظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – (١/ ٢٠٥)
61 الفهرست: ص٢١٧
62 رجال الحلي: ص ١٧٨، نقلا عن أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – (١/ ٢٠٥)

63 أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – (١/ ٢٠٥)
64 (مقدمة البرهان، الفصل الرابع ٤٩)، نقلا عن الشيعة والقرآن (ص: ٥٨)
65 نقلها عنه الطبرسي في كتابه فصل الخطاب، انظر كتاب " الشيعة والسنة (ص: ٩١)
66 قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة (ص: ٣٨٩)
67 التبيان ١/٣، انظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – (١/ ٢٨٩)
68 لعلها "ما ذكرناه" انظر: " أصول مذهب الشيعة..." ٢٩٣/١
69 مجمع البيان ٣١/١، انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – (١/ ٢٩٣)
70 " العتقادات ١٠١-١٠٢، نقلا عن أصول مذهب الشيعة..." ٢١٩/١
71 "أوائل المقالات " ٥٤، نقلا عن أصول مذهب الشيعة..." ٢١٩/١
72 يعني بهم – قبحه الله وأخزاه – كبار صحابة رسول صلى الله عليه وسلم الذين رضي الله عنه ورضوا عنـــه، وعلـــى رأسهم الخلفاء الثلاثة قبل علي رضي الله عنهم
73 " أوائل المقالات: ١٣، نقلا عن أصول مذهب الشيعة..." ٢١٩/١
74 أنظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – (١/ ٢١٨ – ٢٢٠)، وقـــد تنـــاول الـــدكتور القفاري هذه المسألة باستيعاب وشمولية وتحرير وإنصاف قل أن تجده عند غيره، ومانقلته عنه هو بعض الخلاصـــات وإلا فقد أسهب كثيرا في الحديث عن هذا الأمر وهو جدير بذلك التحقيق والتدقيق، وقد اطلعت على غيره من كتـــب أهـــل السنة المشهورة في تناول هذه المسالة وفيها خير كثير.